الدياميس البيزنطية في حي الشرفة بحمص

عدنان البني و نسيب صليبي

كانت مديرية الدفاع المدني تجري في حمص، بعض الحفريات لإنشاء ملجأ في حي «الشرفة» القديم الواقع في القسم الشرقي من المدينة، وراء السور مباشرة، عند موقع «باب الدريب» (المصور ١، الشكل ١) في ساحة أخليت من المساكن تمهيداً لاعداد الملجأ. كان الحفر يتم بجهد في طبقة صخرية كلسية تعرف في حمص بالكدان (١). ولما بلغت أعماق الحفر قرابة ثلاثة أمتار، أخذت تتوضح في قلب الطبقة الصخرية، أقواس معقودة من الحجر البازلتي أو من الآجر، ثم تظهر تحتها دهاليز مشيدة بجدران من الحجر أو من الآجر وفيها قبور (الشكل ٢).

بدا الأمر مستغرباً لدى المشرفين على العمل فبادروا لابلاغ المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق رسمياً ما حدث (٢). ولما كانت المعلومات الأثرية والتاريخية المعروفة حتى الآن عن مدينة ابن الوليد هي قليلة لا تتناسب مع ماضيها الزاهر في العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية والعربية. فأكثر معالم هذه العهود قد ضيعت بسبب استمرار السكن والعمران فوق الأحياء

---

(١) في الطرف الشرقي من مدينة حمص ترتفع هذه الطبقة الصخرية وتؤلف عتبة صخرية عالية عمودية تقريباً على خندق المدينة (الشكل ١) وقد كانت أسوارها قائمة فوقها. وما تزال أجزاء طفيفة منها باقية بين «باب تدمر» و«باب الدريب» من العهد البيزنطي والعهود العربية التالية.

(٢) اننا مدينون في هذا المجال خاصة لمهندس الدفاع المدني الأستاذ سمير فهمي الذي اهتم بابلاغ المديرية العامة للآثار والمتاحف في الوقت المناسب، وقدم لنا خلال أعمال الحفريات كل مؤازرة ممكنة فله منا بهذه المناسبة وافر الشكر.

القديمة نفسها ، وكثرة الزلزال في هذه المنطقة البركانية التي كانت لا تهدأ (١) ، فقد اهتم المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور سليم عادل عبد الحق بالغ الاهتمام بهذا الاكتشاف ، وكلفنا بالشخوص فوراً إلى حمص لاجراء حفريات منهجية منظمة في مكان الملجأ لمعرفة طبيعة تلك المعالم الأثرية وتحديد تاريخها وانقاذ ما يمكن العثور عليه فيها من أوابد ولقى منقولة . ولقد انجزنا مهمتنا بين ٩ و ٢٨ آذار ١٩٥٧ ووافانا في الأيام الأخيرة ، المرمم الممتاز السيد حسن زرقش ، وبذل جهوداً مشكورة في انقاذ لوحة الفسيفساء وبعض « الفريسكات » المكتشفة ، وكانت في حالة سيئة جداً .

★ ★ ★

وضح لنا منذ الأيام الأولى ، اننا في قلب مقبرة مسيحية من العهد البيزنطية ، محفورة في الصخر بشكل دياميس « كاتاكومب » Catacombes . وهذا النوع من المقابر كان معروفاً في روما منذ القرن الأول الميلادي ، وهو يتألف من دهاليز كالمتاهات ، حفرها المسيحيون الاول ليدفنوا فيها موتاهم وشهداءهم قبل كل شيء ، ومن ثم ليمارسوا فيها طقوسهم ويتخذوها ملجأ عند تعرضهم للاضطهاد ، إبان ازمة المسيحية . وقد وجدت مثل تلك المقابر كذلك في نابولي ، وشيوزى في توسكانيا ، وصقلية ومالطة واليونان وفرنسا وحتى روسيا . أما في البلاد العربية فنشاهد مثلها في الجزائر وليبيا ومصر (الاسكندرية) وفلسطين (٢) .

---

(١) يقول الدكتور سليم عادل عبد الحق في مقاله « بحث موجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها » الحوليات الأثرية السورية ، المجلد العاشر ١٩٦٠ ، ص ٥ و ٦ : « ان الأبحاث والتحريات الأثرية لم تتوسع حتى الآن لتشمل نواة المدينة القديمة ، حيث قامت المنشآت البشرية المتعاقبة فوق بعضها واستمر السكن فيها ، مما جعل وصول الباحثين الأثريين إلى اولاها وتعرفهم عليها متعذرين » كما يقول في الصفحة ١٨ : « وقد ضاعت آثار هذه الأبنية ولم يبق شيء من معالمها بسبب الزلازل التي حلت في سورية الشمالية خلال أعوام (٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٩٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨) وامتداد أثرها إلى حمص ، وبسبب النكبات التي حلت في هذه المدينة وغيبت آثار الماضي منها » .

راجع أيضاً تاريخ حمص ، للخوري عيسى أسعد ، حمص ١٩٣٩ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ . وفي الواقع ان الزلازل المذكورة هي ما تم في مدى قرن واحد في عهد البيزنطيين ويمكن ان تضاف عشرات الزلازل من قبل ومن بعد .

(٢) راجع عن « الكاتاكومب » في روما المقال الرائع في :

Abbé Martigny, Dictionnaire des Antiquités Chrétiennes , Paris 1889.

وعن « الكتاكومب » عامة راجع :

H. Leclercq.Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de le liturgie .

وفي هذين المقالين شرح واف لهذه المقابر وأغراضها وأماكنها وأسمائها وخصائصها وطراز انشائها وطرائق الدفن فيها الخ . . .

ولا نكتم غبطتنا بهذا الاكتشاف ، إذا لم يتصل بعلمنا اكتشاف مثل هـذه الديماميس المسيحية في سورية (١) ولكن سرورنا لا بد أن يمازجه بعض الأسف إذ لم نستطع التوغل كثيراً في هذه الديماميس (٢) ، إذ كانت تمتد في جميع الاتجاهات تحت البيوت مشبعة بالمياه وبالأوحال والانهيارات والأنقاض والأوساخ أو ممتلئة تماماً بالتراب المتماسك . وفي احدى المرات خلال محاولات التوغل كدنا نقع في بئر في طريقنا المظلمـة أو نتلقى بعض الصخور المتساقطة . ومع مراعاة الفارق الكبير بين ديماميس حي الشرفة في حمص وديماميس روما من حيث الحجم والكمال والتعقيد ، فإن التشابه من حيث المبدأ قائم بينهما بشكل واضح ، ولكن لا شك في أن هناك اختلافاً في التفاصيل بين هذه وتلك . فمن ناحية العصر نجد أن ديماميس روما يرجع غالبها إلى القرن الأول الميلادي ويدوم بعضها ولو بشكل مزارات دينية حتى القرن التاسع (٣)

---

(١) المقابر المسيحية من العهد البيزنطي ، في حمص خاصة ، عديدة متنوعة ، منها قبور منفردة أو مدافن عائلية ، أو تابعة لبعض البيع والكنائس ، وجدت منها نماذج كثيرة في حي القرابيص وباب السباع و « سيدي خالد » ومنها ما هو في مناطق المقابر الرومانية في « جورة أبي الصابون » (الملعب البلدي) ، وفي طريق حماه تحت المقابر الإسلامية التي أزيلت مؤخراً في مشروع تجميل مداخل حمص ، وقد تولى بعض زملائنا كما تولينا نحن التنقيب في عدد منها وستنشر بعض التقارير عنها في مناسبات مقبلة . راجع عن المقابر المسيحية البيزنطية في حمص :

Comte du Mesnil du Buisson et Père René Mouterde : La Chapelle Byzantine de Bâb Sba a Homs, Mélanges de l'Université St. Joseph, Beyrouth, xiv Fasc. 1 p.4 et s.

Comte du Mesnil du Buisson : La Basilique Chrétienne du Quartier Karm el-Arabis à Homs, Mélanges de l'Univ. St Joseph, xv, P. 207 et s.

L. Jalabert et R. Mouterde : Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie, t. VI, P. 107 et s.

وفي العربية راجع مقال الأب رينيه موترد ، معبد مدفني قديم في حمص ، المشرق العدد العاشر ، ١٩٢٣ .

(٢) يكثر أهل حمص الحديث عن المغائر و « السراديب » وكثيراً ما كنا نسمع في طفولتنا عن « سرداب » يمتد من « طاقة أبي جرس » عند سور المدينة الشرقي حتى سوق النحاسين . ومن المؤكد أن في ذلك اشارة واضحة الى بعض الديماميس التي تمتد عادة على مسافات بعيدة . ومن الطريف ان « طاقة أبي جرس » قريبة جداً من المكان الذي عثرنا فيه على جانب من هذه الديماميس ولا يستغرب أن تكون مدخلاً من مداخلها .

(٣) راجع في Dictionnaire des Antiquités Chrétiennes المذكور سابقـاً مادة « Catacombes » ص ١٢٦ . وراجع أيضاً نفس المادة كذلك في المرجع المذكور سابقاً :

Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie.

وبينما لا نستطيع القطع في تاريخ بدء انشاء الديماميس في حي الشرفة بحمص (١) ، فالقسم الذي نقبنا فيه لا يمكن أن يكون سابقاً للقرن الثالث الميلادي (٢) كما ان استعماله كمقبرة لا يتجاوز كثيراً القرن السابع الميلادي ، وعلى أبعد حد أواخر العهد الأموي ، وذلك بدلالة النقود والآثار التي عثر عليها في هذا القسم ، كما سنرى فيما بعد .

أما من الناحية العمرانية فاننا نجد فيهما معا الدهاليز تمتد أحياناً عشرات الأمتار ، وضيقة (المصور ١ والشكل ٢) ، والسقوف المعرضة للتصدع والانهيار بسبب ضعف الطبقة الصخرية وتأثرها بالرطوبة وتقادم الزمن ، نراها مدعومة بالاقواس المعقودة والجدران الجانبية والعضائد الاستنادية من الحجر والآجر (المصور ٢ والشكل ٣) . وأكثر هذه العقود والجدران هنا كما في روما كانت مكسوة بطبقة من الجص عليها « فريسكات » ملونة ذات مواضيع دينيـة وزخرفية وكتابية ، كما أن بعض العضائد والجدران فتحت فيها محاريب لوضع السرج التي كانت تنير

---

(١) يقول الأب لويس شيخو في مقاله ، محاضرة في حمص ومآثرها ، المشرق ١٩٢٣ ، ص ٧٢٨ : لا بدع أن النصرانية دخلت حمص بعد السيد المسيح بزمن قليل رغماً مما لقيته في سبيلها من العقبات في تلك المدينة العريقة بعبادة الشمس .

(٢) لا يمكننا القطع في أمر بدء المسيحيين في حمص بانشاء هذه الديماميس فليس لدينا حالياً نص واحد أو دلالة ما على ذلك ، ولا يستغرب أن يكون المسيحيون الأول في عهدهم السري قد جدوا في نقبها في الصخور منذ القرن الأول أو الثاني . كما أن من المحتمل أن يكونوا قد خططوها قبيل بدء دولتهم ، على نسق مقابر المسيحيين الأول في روما وغيرها . أو لحاجة القرب من مقام ديني هام أو لعلاقة به ، عزفوا عن الدفن خارج الأسوار واستفادوا من الفراغات الممكنة في الصخر تحت المدينة . وعلى كل حال نذكر بهذه المناسبة ان حمص أصبحت مركزاً مسيحياً هاماً اعتباراً من القرن الرابع الميلادي . وفي عام ٤٥٣ م كانت « متروبولا » تتبعه عام ٥٧٠ اربع أبرشيات ، راجع الصفحة ١٠٧ من الجزء الخامس من مؤلف :

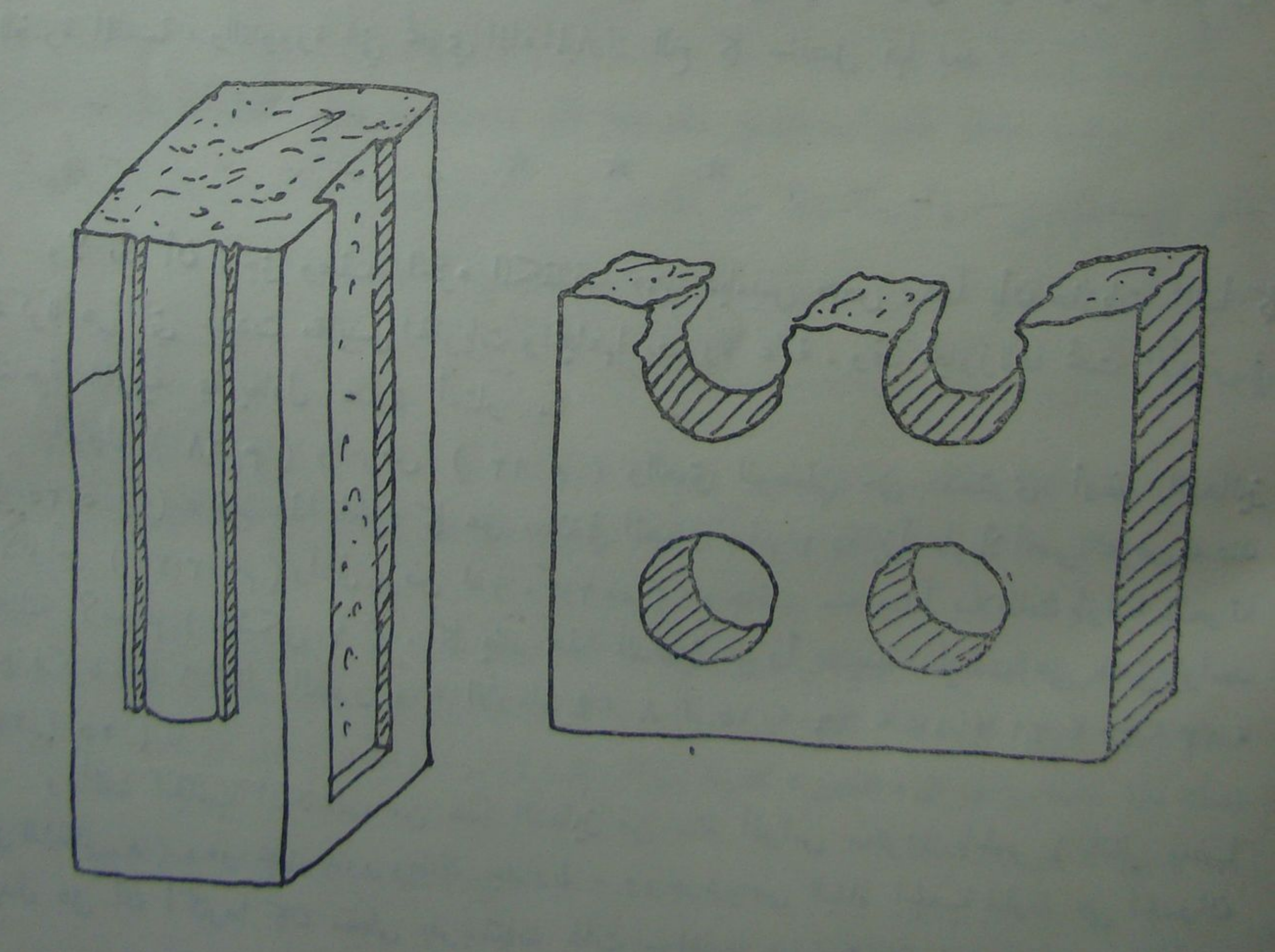
Inscriptions Grecques & Latines de la Syrie .

المذكور آنفاً ، وراجع أيضاً : Honigmann, Byz . Zeitschr . xxv, 1925, P. 66—73, 84—85 .

أما عن أول عهد المسيحية في حمص ، وعن الاضطهادات الدينية التي عاناها المسيحيون أول أمرهم في حمص ، وعن الشهـداء في القرون المسيحية الأولى في تلك المدينة فراجع تاريخ حمص للخوري عيسى أسعد ، المذكور آنفاً ص ٣٨٩—٤٠٢ . والمصادر التي أوردها ، ومقال الأب شيخو « محاضرة في حمص ومآثرها » .

سبيل المشيعين والزائرين أو اللاجئين في الزوايا المعتمة . وبهذه المناسبة فهناك أقسام ينحدر إليها ضوء النهار عن طريق فتحات علوية تعرف في دياميس روما باسم « Luminares » أي « مناور » وقد رأينا خلال أعمال التنقيب عدداً منها سدت بالأنقاض أو ببلاط البيوت القائمة فوقها أو حولت إلى مجارير لتصريف المياه الفائضة . وهناك جزء من منور من الحجر البازلتي وجد بين الانقاض (انظر الشكل في آخر الصفحة) كما أن الشكل الوارد إلى جانبه يمثل جزءاً من حاجز رخامي من النماذج المستخدمة في الكنائس .

هذا ومن ناحية ثانية فان أساليب الدفن تتشابه ، مثلاً من ناحية استخدام حجرات الدفن المعروفة في دياميس روما باسم « Cubicula » ومفردها « Cubiculum » وهي تضم عدداً من القبور في حجرة واحـــدة تكون تحت مستوى أرض الدياميس غالباً . وهنـــاك في دياميس حمص نموذج ممتاز منهـــا (المخطط ١ مدفن ١٤ والشكل ٤) . كما تتشابــه في



استخدام القبور الممتدة على طول الدهاليز (الشكل ٥) وهي تكون في روما على شكل « Loculi » أو توابيت متعاقبة فوق بعضها اعتباراً من مستوى أرض تلك الدهاليز . أما هنا فان كانت مثلها تتعاقب على طول الدهاليز ويأخذ بعضها برقاب بعض ، لكنها تكون غالباً محفورة في الأرض ، بشكل معازب ، فيها القبور طبقة فوق طبقة بينهما ألواح من الآجر أو الرخام أو المرمر (الشكل ٦) ، أو بشكل قبور كالبئر تلقى فيها عدة هياكل عظمية قد تبلغ العشرة وقد تنوف على العشرين . وعلى كل حال يلاحظ في ديماميس روما اعتباراً من القرن الخامس أن الأتقياء كانوا يكتفون بقبور محفورة تحت أرض الدهاليز .

وأخيراً فالأثاث الجنازي متماثل إلى حد ما ، فالسرج هنا وهناك كثيرة في القبور لإنارة روح الميت ، وفي الدهاليز لإنارة سبيل الزائرين والمصلين ، والثياب المحاكة بخيوط الذهب ، والنقود التي تدل على تاريخ الوفاة فليست أجرة لكارون سائق عربة الموتى ، والكاس « Calice » للخمرة المقدسة ، والقارورة التي تحوي الماء المبارك الخ كما سنفصل فيما بعد .

★ ★ ★

ولا بد أن نوجز وصف الجزء المكتشف من ديماميس حمص ، علماً بأن حفريات الملجأ كما ذكرنا هي التي حددت مقاييس الحفريات واتجاهها بصورة عامة . وقد تجاوزناها تحت الأرض في الناحية الغربية بما يعادل عشرة أمتار .

الطول (١٨ م) والعرض (١٢ م) والعمق الوسطي حتى مستوى أرض الدهاليز (٥،٢٥ م) ويضم هذا الجزء كما هو مبين في المصور رقم ١ دهليزاً طويلاً أقصى عرض له عند الأقواس (٣،٢٥ سم) وأدنى عرض له (٢،٢٠ سم) ، وجانب منه مبلط ببلاطات بازلتية منحوته مختلفة الأحجام (الشكل ٧) . كما يضم هذا الدهليز قبوراً عديدة ليست على نسق واحد كما ذكرنا آنفاً (انظر المصور ١ ، الأرقام ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) .

ويتألف الجانب المكتشف من هذا الدهليز من ستة أقواس معقودة بالحجر (انظر بعضها في الشكل ٨) وهو مجهز بمنور وطاقة جدارية . ووجود بعض البقايا الجصية الملونة على الجدران يدل على أن أكثرها كان مغطى بفريسكات ذات مواضيع دينية مختلفة .

وتتفرع من هذا الدهليز دهاليز أخرى ليست منتظمة ، وبينها أبهاء . والدليل على هذه الدهاليز ظهور عضادات الأقواس مثلاً في الجانب الشمالي من الملجأ . وأحد هذه الدهاليز ينتهي بمدفن أرضي محفور في الصخر وجدرانه مشيدة بالحجر ، يدلف إليه بأربع درجات . وأرضه الصخرية مقعرة في أماكن ثلاثة لوضع التوابيت (١) (انظر المصور ١ مدفن ١٤ والمصور ٢ والشكل ٤) .

وهناك بئران بين الدهاليز لا يبعد أحدهما عن الآخر أكثر من ثلاثة أمتار (٢) .

كما يجدر بالذكر أن هناك في جنوب الدهليز الكبير أقواس تشير إلى مطلع دهاليز جديدة في تلك الناحية ،

القبور وأنواعها :

١ – عرضنا سابقاً لحجرات الدفن المعروفة بالـ Cubicula وهي عادة أهم نوع من أنواع المدافن في الديماميس ، وأوردنا مثلاً عنها المدفن ١٤ ، ونضيف هنا بأن من هـــذه الحجرات المدفن رقم ٧ الذي نعرض مصوره السطحي ومقطعه في الصفحة التالية :

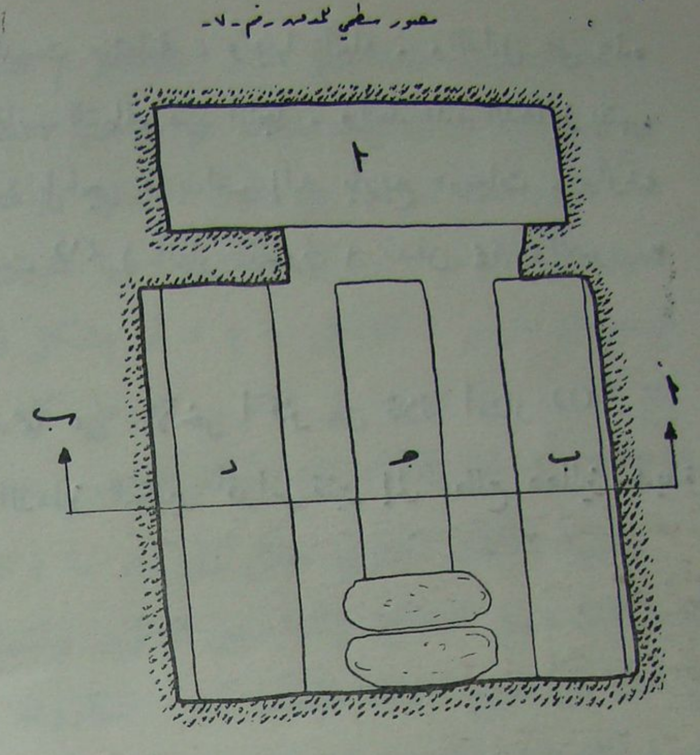
---

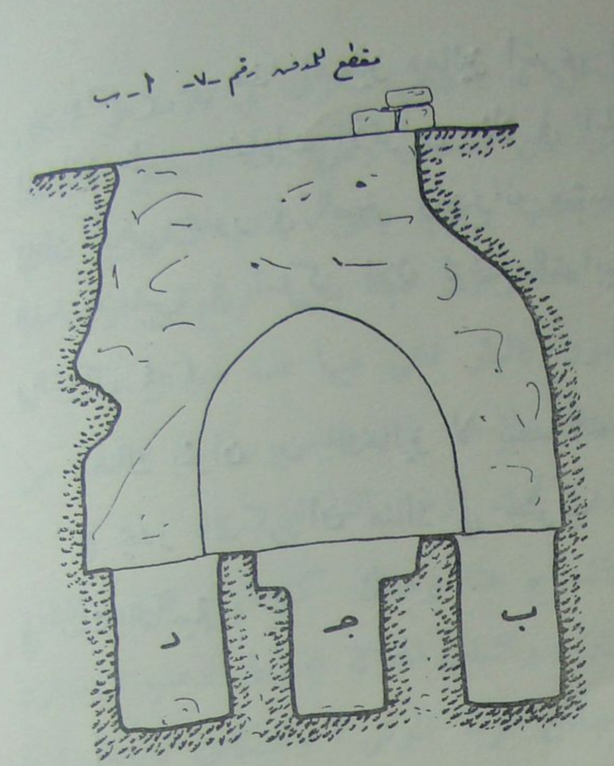
(١) تدل البقايا المكتشـــفة في القبور على أن توابيت الخشب والرصاص والفخار كانت مألوفة في هذه الديماميس . فهناك مثلا في المدفن آثار واضحة لتوابيت خشبية ، وفي رقم ٨ آثار تابوت رصاصي ، وفي رقم ١١ آثار تابوت من الفخار ..

(٢) الطريف أن أحدهما على الاقل لا يزال فيه ماء كان يستخدم قبل قيام مشروع المياه في حمص من قبل سكان البيت الواقع فوق هذا الجزء من الديماميس ، كما هو واضح تماماً . وكثير من آبار حمص وهـــذه المنطقة منها خاصة يؤدي الى « المغاور » القديمة . والامر ثابت في روايات المسنين ومحقق في المدفن البيزنطي في باب السباع كما ورد في مقال :

Comte du Mesnil du Buisson et Père R. Mouterde .

وقال رينيه موترد بالعربية المذكورين في (الحاشية ١ ، ص ٢٥)





ويختلف هـذا المدفن عن المدفن ١٤ بأنه محفور بكامله تحت الأرض وليس له جدران مشيدة بالحجر ولا درج ، يدلف إليه من السقف ويغلق كالقبور الفردية العادية ، بالحجارة الطويلة ، ويضم أربعة قبور (آ ، ب ، جـ ، د) معمقة بالصخر .

٢ – وهناك كما ألمحنا سابقاً قبور تحت الأرض ذات طوابق (الشكل ٦) ، واننا لنعرض إلى اليسار نموذجاً عنها يمثل مقطع القبر ١٥ لنعطي فكرة صحيحة عن هذا النوع من القبور .

مقطع للقبر رقم -١٥-

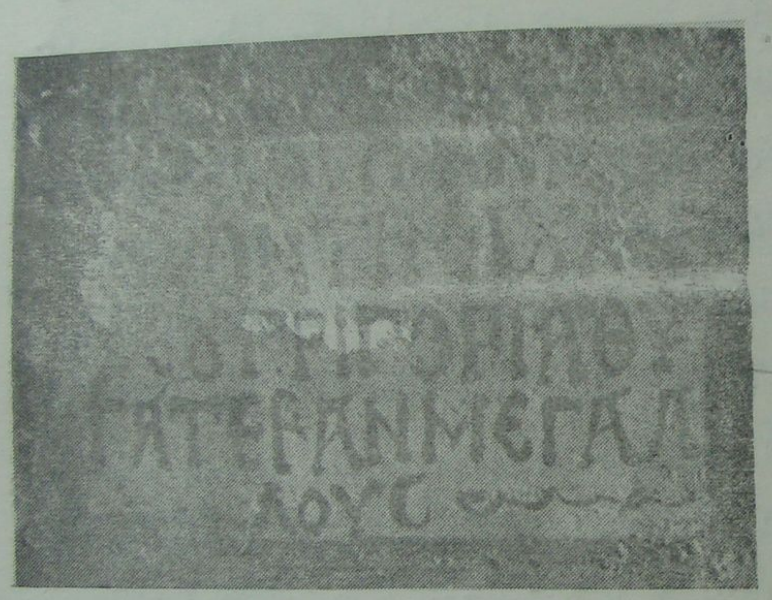
سطح أرض الهالية
الحفرة المطلوبة
غطاء القبر من الاحجار الطويلة
قبر
هيكل عظمي
غطاء القبر
قبر
هيكل عظمي

٣ – يضاف إلى ما تقدم قبور عادية (أطوالها بين ١٩٠ – ٢٢٠ سم) تتـألف من حجرة صغيرة مستطيلة تحت الأرض تضم هيـاكل عظمية عديدة ويكون داخلها مكلساً ومجصصاً وغطاؤها بالحجارة الطويلة وبعض الحجارة مثبت به حلقة حديدية لرفعها عند كل دفن (هناك نموذج واضح عن ذلك في القبر ١) . وهناك حُجر لوضع الرفاة والبقايا المتخلفة عن الموتى وبعض الأثاث الجنازي هي أشبه بالأماكن المخصصة للعظام والمسماة « Ossuaires » في المقابر، كرقم ٢٣ مثلاً .

٤ – ومن النماذج المميزة احداث قبر بجانب جدار

الدهليز بشكل تابوت وهو أكثر النماذج انتشاراً في روما. ونجده في ديماميس حمص ممثلا خير تمثيل في القبر ٢٤ (الشكل ٥) وعليه طبقة كلسية رسمت عليها رسوم ملونة بالأسود والاحمر الحمري والأصفر تمثل حمامتين (١) وصلبان بيزنطية متناوبة وعناصر زخرفية تتألف من أوراق أشجار محورة.

وفوق هذا التابوت، على الجدار، نص يوناني مخطوط بالفرشاة (الشكل المرفق) جاء فيه : « أيها المخلص ، أرح نفس خادمتك غريغوريانه ابنة ميغالليس (؟) » (٢) وهي صيغة مسيحية واسعة الانتشار.



٥ - وهناك القبر رقم ٢٢ انظر الصفحة التالية وهو جدير بالاهتمام. ويتألف في الواقع من قبرين يفصل بينهما جدار من الآجر وفوقهما حصيرة من الفسيفساء اتلفت من جوانبها في إحدى المحاولات القديمة لنهب القبر. وهذه الفسيفساء من أروع النماذج السورية في العهد البيزنطي (الشكل ٩) وهي ترد غالباً القرن السادس (٣) وهي في وضعها الراهن تحمل بعض الشقوق من عوامل الطبيعة وناقصة في زاويتيها اليسريين. أقصى طول لها ١٦٠ سم

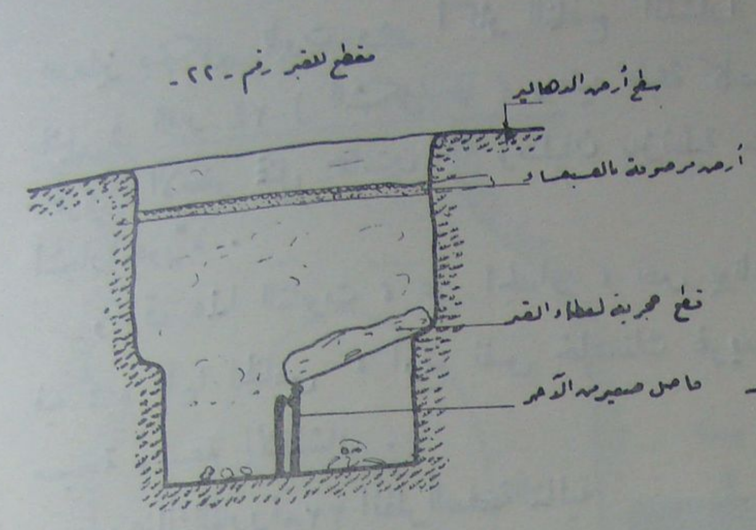
---

(١) ان المسيحيين الاول كانوا يكثرون من تصوير الحمامة على كثير من أوابدهم، والحمامة ترمز الى السلام والوداعة والبساطة المسيحية. كما يرى البعض أنها ترمز أحياناً الى السيد المسيح نفسه والى صعوده، أو هي رمز لأنفس المؤمنين والشهداء التي خلصت من سجن الجسد. والاعتقاد السائد أنها عندما تمثل على القبور تعني السلام الذي حازت عليه النفس المؤمنة فتكون معادلة لعبارة «أرقد بسلام» راجع: Dictionnaire des Antiquités Chrét ienne المذكور آنفاً مادة Clombe. وكذلك Inscriptions Grecques & Latines de la Syrie ص ١١٠

ويقول الاب موترد في مقاله « معبد مدفني في حمص ص ٩٤٨ المذكور آنفاً : وتحت الصليب المرقوم في آخر الكتابة اليونانية صورة طائر أرادوا به الحمامة المرموز بها الى خلود النفس المسيحية. »

(٢) تكرم الاستاذ هنري سيريغ بترجمة هذا النص اليوناني فله منا بهذه المناسبة وافر الشكر.

(٣) عثرنا في داخل القبر على نقد للامبراطور جوستيان (٥٢٧ - ٥٦٥).



وأقصى عرض ١٠٧ سم . وتقسم الى حقلين العلوي مربـع تقريباً (٩٢ × ٩٥ سم) ضلعه السفلي مزين بحاشية خضراء ، وهذا الحقل يضم ثلاثة أشخاص وقوفاً . والحقل السفلي مستطيل (٢٩ × ٩٥ سم) معد للوحة مكتوبة « épitaphe » . والفسيفساء منزلة بيد ماهرة وتركيبها التشكيلي متوازن جميل . ويتراوح طول مكعباتها بين ١٠ - ٥مم تقريبا ، حسب دقة التفاصيل ، وألوانهـا متساوقة متدرجة ، أحمر ، ارجواني ، وردي ، أسود ، بني ، عاجي ، وهناك أخضر زمردي لطيف .

المشهد في الحقل العلوي يضم كما ذكرنا ثلاثة أشخاص ، أزال التشويه الحادث في اللوحة رأس الأيسر والنصف العلوي الأيمن منهم . أما الشخص الواقف إلى اليمين فهو على الراجح شماس شاب جميل ، واسع العينين ، عاري الرأس ، حليق ، يرتدي ثوباً دينياً عاجي اللون من النوع المعروف باسم « Paragonda » وكتفا الثوب وعنقه وصدره ومقدم كميه تتحلى بحواشي سوداء أو بنية ، مطرزة أو مرصّعة مع حلية خضراء عند مقدم العنق ، يد الشماس اليسرى غير ظاهرة واليمنى منثنية فوق أسفل الصدر في وضع من يمسك شيئاً برؤوس الأصابع . والشخص الأوسط يبدو كمطران أو شخصية دينية مقدّمة ، عليه ثوب طويل غامق ، بني أو أسود ، وفوق الثوب عبـاءة أو وشاح أحمر أرجواني . والشخص الواقف إلى يساره ثوبه فضفاض عاجي اللون ، موشى من الأمام بحاشيتين عريضتين متوازيتين ، وفي عنق الثوب حلية خضراء . وقد شبك هذا الشخص ساعديه أمـام صدره وخرجت راحة اليد اليمنى وأخذت سبابتها ووسطاها وضع المباركة .

وكان في الحقل السفلي بالأصل ٦ سطور باليونانية ذهب جانبها الأعظم ، وعلى يمين الكتابة مستطيل مقسم إلى مثلثات ملونة بالأحمر والأخضر والأسود ، وكان إلى يسارها مثل هذه العناصر التزيينية ذهبت عند تشويه اللوحة ، ومثلث من جديـد بشكل تقريبي في المعمل الفني للمديرية العامة للآثار والمتاحف .

اللقى الأثرية :

إن اللقى التي عثرنا عليها في القبور قليلة نسبياً ولكنها ذات أهمية بالغة من حيث تحديد تاريخ المقبرة وامتداد زمنها ، فضلاً على أنها تعطينا صورة صحيحة عن شعائر الدفن لدى مسيحي الشرق في العهد البيزنطي وفي أول العهد العربي . ويمكن أن نلاحظ بشكل عام أن هنالك اطراحاً للمبالغة في وضع الأثاث الجنازي مع الميت والاقتصار على بعض الأشياء الرمزية كالسرج والكؤوس والقوارير ، إضافة لما يكون في ثياب الميت عند دفنه خاصة النساء والأطفال . ويمكن أن نصنف اللقى تبعاً لمادتها كما يلي :

آ — **الفخار** : الفخار يقتصر على قرابة أربعين سراجاً جلها من العهد البيزنطي (القرن الرابع حتى القرن السابع) وهي مجموعة لطيفة غنية بزخارفها تضم مواضيع نباتية وهندسية ومنها ما عليه صلبان (١) وبعضها على مثعبه وجه ربما يشير إلى أحد القديسين ، (وقد عرضنا مجموعة السرج في اللوحتين السادسة والسابعة) وقد سبق أن ذكرنا أن السرج توجد داخل القبور أو في الدهاليز فمن أصل ٣٨ سراجاً هناك ١٧ عثر عليها في القبور و ١٨ خارجها و ٣ لا يمكن تحديد مكانها . وفي كل من القبرين ٦ و ٢٠ عثر على خمسة سرج وفي القبر ٢٢ على ثلاثة وهناك اثنان في كل من القبر ١ و ١٨ .

ب — **الزجاج** : إذا ما تأملنا اللوحة الثامنة نجد فيها جانباً كبيراً من الأواني والحلي الزجاجية الملتقطة من القبور . ويلاحظ أن أهمها هو الكوب المعروف باسم « كاليس » Calice وهو إناء مسيحي نموذجي بل هو أقدس الأواني المسيحية لأنه يحمل رمزياً دم المسيح والمسيح كرس دمه في كوب من هذا النوع ويعرف باسم Vas dominicum وأكثر هذه الأكواب تكون عادة من الزجاج . ثم القوارير التي تحوي الماء المبارك أو الزيت المقدس وبعض الخرز والأساور مما يكون لدى النساء والأطفال .

ج — **البرونز** : أهم العناصر البرونزية المكتشفة هي الأبازيم التي كانت في أحزمة الموتى وقد عرضنا في اللوحة التاسعة نماذج منها بعضها عادي بسيط وبعضها مزين بحيوان في وضع الهروب أو بزخارف نباتية وفي أحدها صليب بيزنطي . أما بقية العناصر البرونزية فهي خواتم وعناصر تزيينية أخرى .

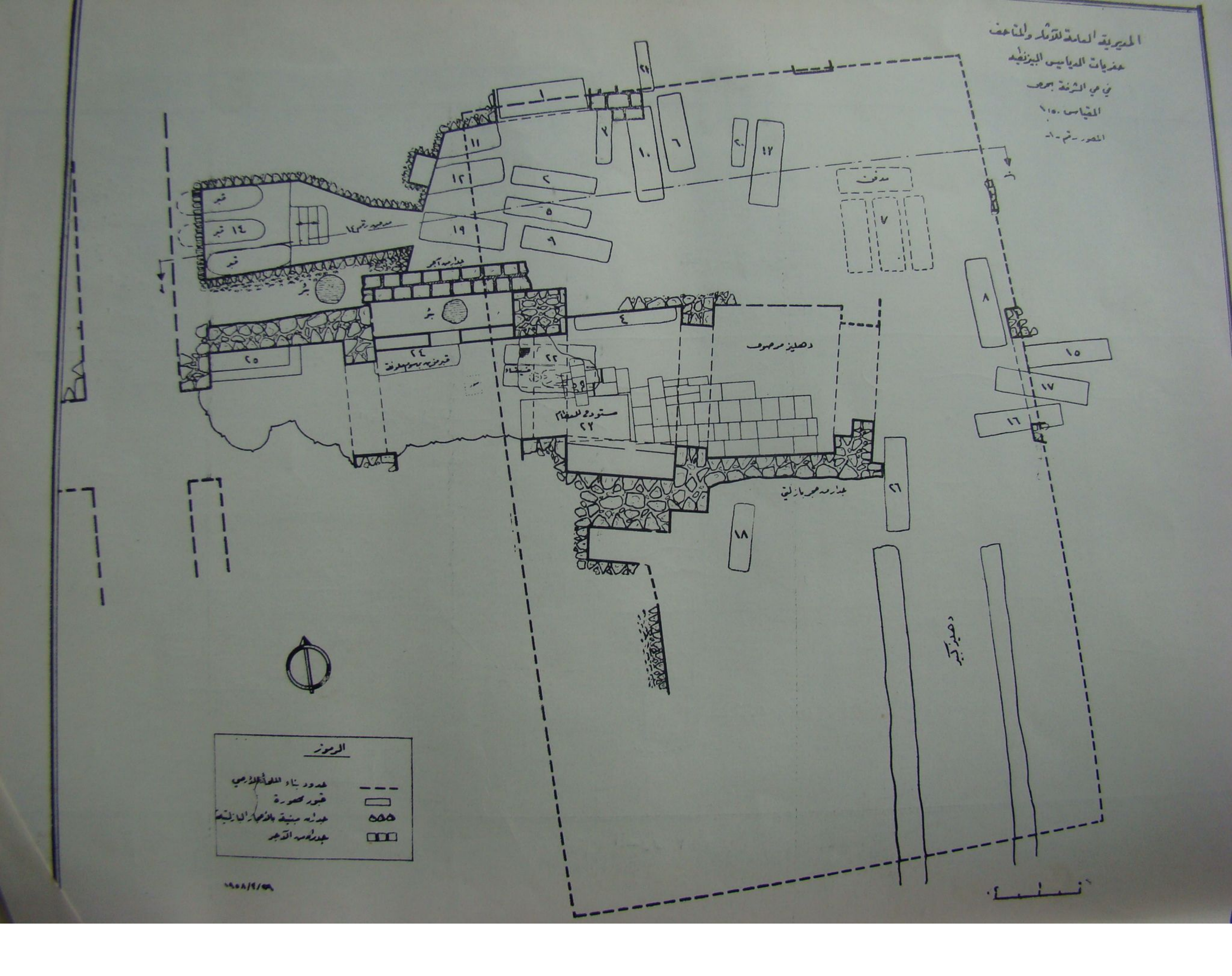
---

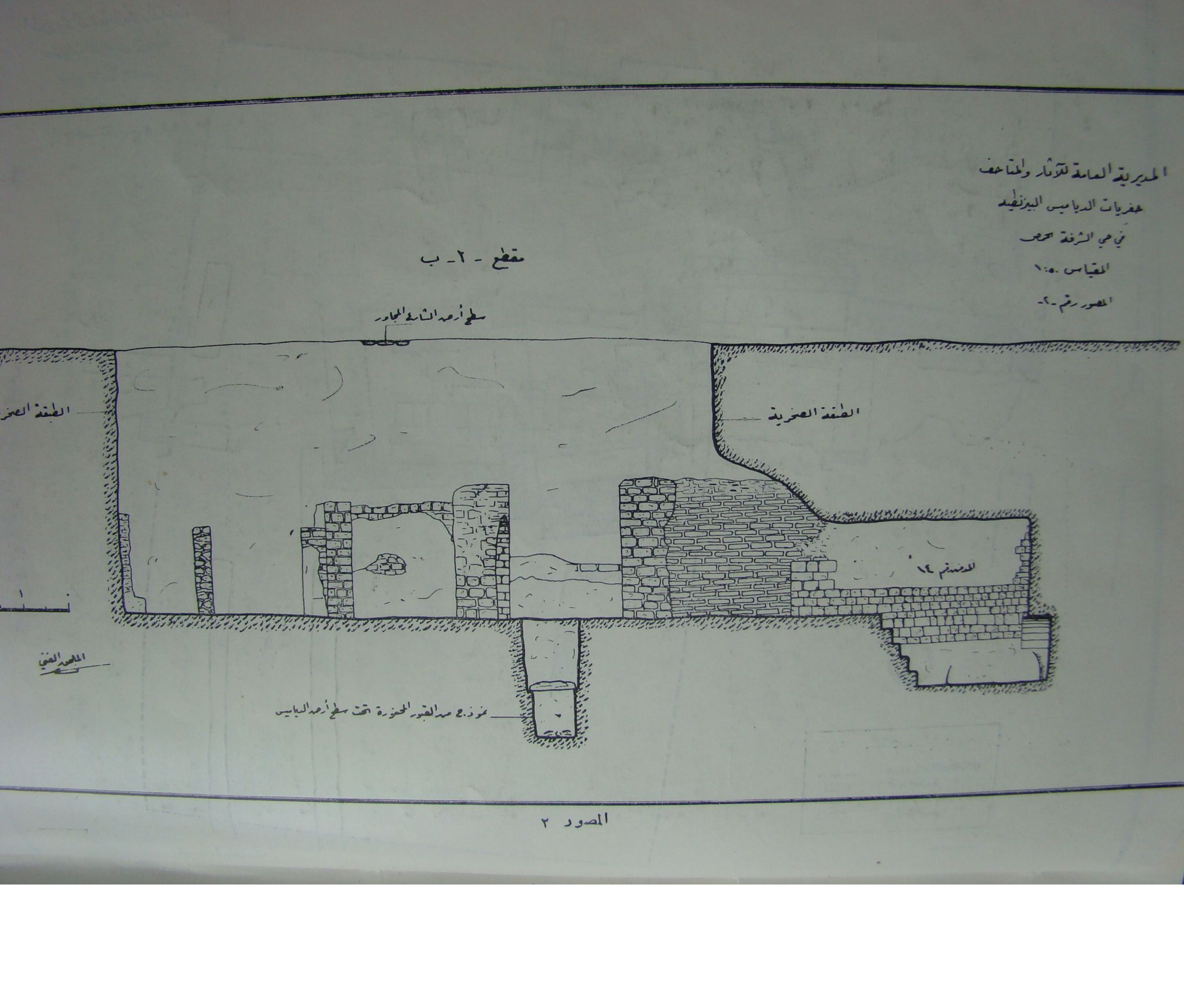
(١) ان الكثرة الساحقة من السرج المسيحية ، هي عادة من الفخار وعلى شكل مركب صغير Navicella والسرج المكتشفة في مصر جلها محلى بالصلبان .

د — **الذهب والمواد الأخرى** : هناك أربعة أقراط ذهبية عادية بشكل حلقات رفيعة مزينة بذوائب طفيفة . أما الذي يلفت النظر فهو عثورنا في عدد من القبور فوق عظام الموتى على خيوط واهية من الذهب ، وقد كان النسيج المذهب في المسيحية يكفن به عادة الأشخاص المتميزين . كما ننوه بالعثور على أساور من الأبنوس لأطفال صغار ، ومراود من العظام وسوار من الخشب وآخر من العاج وخرزات من الابنوس يمثل أحدها جزع محارب والآخر جزع رجل بدين ، وجزء مزين من مشط خشبي مثبت بمسامير البرونز (راجع اللوحة التاسعة)

ه — **النقود وتاريخ المقبرة** : إن النقود لهي أهم اللقى ، لانها من ناحية ، تعطينا فكرة صحيحة عن تاريخ هذه الدياميس ، ومن ناحية ثانية ، هناك جانب منها يوضح تطور العملة في فترة الانتقال بين العهدين العربي والبيزنطي . ومن هذه النقود عثر على ٤٦ نقداً كلها تقريباً داخل القبور ، منها ٢٩ في قبر واحد ، وتمتد من القرن الثالث حتى السابع ، وهي مضروبة خاصة في القسطنطينية وإنطاكية وحمص موزعة كما يلي :

١ — بروبوس (٢٧٦ — ٢٨٢ م)	العهد الروماني
٢ — ديوقلسيان (٢٨٤ — ٣٠٥ م)	
٣ — جوستينوس (٥١٨ — ٥٢٧ م)	العهد البيزنطي
٤ — جوستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥ م)	
٥ — طيباريوس (٥٧٨ — ٥٨٢ م)	
٦ — هرقل (٦١٠ — ٦٤١ م)	
٧ — فلوس بيزنطية — عربية من النموذج الهرقلي	العهد العربي
٨ — فلوس بيزنطية — عربية من النموذج الكونستانسي (٦٤١ — ٦٦٨ م)	


المديرية العامة للآثار والمتاحف
حفريات الدياميس البيزنطية
في حي الشرفة بحمص
المقياس ١:٥٠
المصور -رقم -١-
دهليز مرصوف
مدفن
مستودع العظام
٢٢
جدار من حجر بازلتي
جدار من آجر
بئر
دهليز كبير
الرموز
قبور محفورة
جدران مبنية بالأحجار البازلتية
جدران من الآجر
٢٩/٩/١٩٥٨


المديرية العامة للآثار والمتاحف
حفريات الدياميس البيزنطية
في حي الشرفة بحمص
المقياس ١:٥٠
المصور رقم -٢-
مقطع - ٢ - ب
سطح أرض الشارع المجاور
الطبقة الصخرية
الطبقة الصخر
المدفن ١٤
نموذج من القبور المحفورة تحت سطح أرض الدياميس
١
المجمع الفني

المصور ٢

الشكل ١ - الخندق والسور في حي باب الدريب

الشكل ٢ - الأقواس والدهاليز المكتشفة ضمن الطبقة الصخرية

الشكل ٣ ـ الأقواس والعضائد الاستنادية من الحجر والآجر

الشكل ٤ ـ المدفن ١٤ من الداخل

الشكل ٥ ـ أحد القبور الممتدة على طول الدهاليز

الشكل ٦ ـ القبور طبقات فوق بعضها

الشكل ٧ ـ الجانب المبلط من الدهليز الرئيسي

الشكل ٨ ـ الأقواس المتعاقبة في الدهليز



الشكل ٩ – فسيفساء القبر ١٤

سرج مزينة بصلبان ووجوه قديسين

سرج بزخارف نباتية وهندسية



الزجاج

العاج والأبنوس والخشب